و اقتباسا من ضوء مصباحه و اقتطافا من ثمرات صلاحه قد طرزت شرحي هذا بكتابه المسمي << بنصيحة الذاكرين >> ليكون كاملا منتفعا به بين المسلمين

==========

فأقول : قال نفعنا الله به آمين (بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي اباح اهل الذكر فردوس الشهود. و اطلع شموس اهل السر علي صفحات الوجود. فأستنارت بهم البقاع الحوالك . و استبانت بهم الي الله المسالك . فرأبوا بهديهم ثأي الكون . و أنقدوا الغراء من الهون بالعون.

مستمسكين بسنة جمال الكونين . متبرئين من كل حدث بالأصغرين .

(و الصلاة والسلام) علي مالك أزمة أهل الحضرة الجبروتية . و إمام كل مقتدي به ممن اتصف بالقبلية و البعدية و علي آله و أصحابه الذين شدوا مآزرهم علي اتباعه في القول و الفعل و عقد الطوية . و علي من قفا سننه و اتبع سنته بحسن النية.

(أما بعد) فيقول عبد مولاه . كسير القلب مما جناه. قليل الزاد .ليوم المعاد. محسوب الجناب الحفناوي . أحمد بن شرقاوي . انه لما طوقني استاذي بطوق الارشاد. و سدت غير مسود بين العباد. اجتمع معي خلق كثيرون علي ذكر الجليل . ليظفروا بالدرجات العلا و الثواب الجزيل .و سلموا الي قيادهم و طلبوا مني ارشادهم . فوجدت الذكر الذي عليه اكثر الناس مقيمون . و علي استحسانه متواطئون و متفقون . مشتملا علي تقطيع كلمة التوحيد . و قصر علم الحق المجيد. حتي صارت الكلمة المشرفة هكذا لوو وو الو ووه ايلا اللو وواه . و صار العلم الشريف الله بدون ألف بعد اللامين ، و ربما مدوا همزته و ابدلوا هاءه واوا ، فيصير علم الذات الاقدس هكذا آللو ، و ذلك ممنوع بنصوص الاعلام ، فلا ثواب في تكراره و لا اكرام. و رأيت اقرار اخواني عليه مع علمي بما فيه غشا لهم في الديانة . و غرورا بهم و خيانة . و خشيت ان اقع في الوعيد المشتمل عليه قوله -عليه الصلاة و السلام- : " من غشنا فليس منا ".

فغيرت هذا الاسلوب العقيم. بذكر علي أقوم هيئة و احسن تنظيم. و امرت كل موفق يريد الفوز بصلات الغفار. بالاقتصار عليه و نهيته عن ذاك الذكر الضار.

فجاء اقوام يريدون اطفاء نور ذي الملك و الملكوت ٠ متمسكين بما هو أو هي من بيت العنكبوت٠ فتارة يقولون الذكر مندوب اليه كتابا و سنة فكيف تحكمون بتحريمه ٠ فنقول لهم ما هذة المكابرة ٠ و ما هذة المغالطة الظاهرة ٠ نحن حكمنا بتحريم تقطيع اسماء الله تبارك و تعالي ، و لم نحكم بتحريم اصل الذكر كيف و في استعماله ابتهاجنا٠ و به الي الله سيرنا و انتهاجنا٠ و به أنسنا و انشراحنا ٠ و فيه غدونا و رواحنا ٠ و قد اشتهرت ليه نسبتنا ٠ و انتشرت به بين العباد طريقتنا ، و ما ذاك التحريم الا كتحريم القراءة الملحونة ، و الصلاة الغير تامة الاركان ، أفي ذلك تحريم لأصل القراءة و اصل الصلاة لا و الله٠ و تارة يقولون هذا الذكر عليه اشياخنا الاولون و اسلافنا السابقون، فنقول لهم اذ كانت العبرة بالمتقدم فقد قال الأول الذي ليس قبله شيء (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا اللهُ) و حروفها عند القراء معلومة٠ و مخارجها و مدودها و حركاتها لديهم مفهومة٠ و قال سيد الاولين " افضل ما قلته أنا و النبيون من قبل لا إله إلا الله ، فلنقلها كما قالها نبينا افصح العرب الذي أرسله الله إلينا ليعملنا بأقواله و افعاله ، و جعل القرب و النجاة في اتباع سننه و البعد و الهلاك مفارقة سننه٠ و ماذا علينا اذ وافقنا الله و الرسول٠ و تركنا ما عليه الاسلاف و الاصول٠ فان الشرع حجة عليهم كما هو حجة علينا ، و ليسوا هم حجة علي الشرع ، فانه يحتج به لا عليه ، فإذا عرفت ذلك عرفت ان الاحتجاج بالاسلاف٠ لا فائدة فيه و لا اسعاف٠ و انما هو ذكر لمساويهم و اظهار لمعاصيهم، و قد نهي عنه -صلي الله عليه و سلم - بقوله : " اذكروا محاسن موتاكم و كفوا عن مساويهم"٠ فهؤلاء قد خالفوا نبيهم من حيث لا يشعرون ، و احيوا عيوب اسلافهم و هم لا يعلمون ، و قصاري ما يعتذر به لاولئك الاسلاف علي بعد ان صح انهم كانوا يفعلون مثل ذلك انهم كانوا في حالة قاهرة اخرجتهم عن حد التكليف و غيبتهم عن الاحساس ، و المقهور معذور و المقتدي به مغرور ، و المقهور علي خير ، و المقتدي به في ضير، اذ شرط المقتدي به في هذا الطريق ان يكون برزخا جامعا بين الحق و الخلق ، ماشيا علي ظاهر الشريعة المحمدية شاربا من الكؤس الحقيقية ليؤدب اتباعه ظاهرا بشريعته ، و يكسوهم الحلل الباطنية بحقيقته ، متمكنا بحيث لا تغيره الاهوال و لا تعدو عليه سطوات الاحوال٠

و بالجملة فالاشياخ الدعاة الي الله لابد ان يكونوا محفوظين ظاهرا و باطنا اذ هم علي أقدام الرسل ، فان الشيخ في قومه كالرسول في أمته ٠
: قال السلطان ابن الفارض
و عالمنا منهم نبي و من دعا *** الي الله منا قام بالرسلية
و قد ذكر محققو المتقدمين من الأعيان المقتدي بهم في الدين حرمة التقطيع ، و عدم الاعتداد بلفظ الجلالة المقصور في القسم و الذكر ، فياليت شعري ما الحامل علي مخالفة كلام الله٠ و ما الباعث علي عدم الوقوف عند ما نطق به رسوله و مجتباه٠ و ما الداعي لطرح ما حققه الأئمة الهداة ٠ و ما سبب العكوف علي تلك الهيئة المخترعة و البضاعة المزجاة٠ و ما الملجئ لذكر مساوي الاسلاف ٠ وقد نهي عنه المصطفي بلا خلاف٠ فأرجوا اخواني للصواب ٠ و استمسكوا بالسنة و الكتاب٠ فقبول الموعظة شأن المتقين ٠ و بطر الحق دأب المتكبرين٠
*أزال الله عنا و عنكم رين القلوب٠ و جمعنا و اياكم علي سنة الحبيب المحبوب٠

و تارة يقولون هذا الذكر يفعل بحضرة العلماء و لم ينكروه ، فنقول لهم عدم نكيرهم اما لعلمهم عدم الافادة فلا اثم، او لتفريطهم فيأثمون علي انا قد شاهدنا انكار من يعتد بانكاره من جهابذة العصر و الاوان و مصابيح هذا الدهر و الزمان ، و رأينا كتب المتقدمين مشحونة من ضبط الكلمة المشرفة و باقي اسماء الطريق ، و من التحذير من التحريف فيها ، و بعضهم افرد الذكر بالتأليف نظما و نثرا و شنع تشنيعا شديدا علي من لم يراع قانونه الشرعي ، و هذا غاية الانكار منهم رحم الله السابقين و حفظ لنا وجود المعاصرين و جزي الجميع عن امة سيدنا محمد خيرا ٠

و تارة يقولون هذا الذكر قد شاع و ذاع و ملأ البقاع ، فنقول لهم الحرام حرام و لو كثر ارتكابه و عم اكتسابه ، اذ هو ما يثاب علي تركه و يعاقب علي فعله ، لا ما قل فاعله حتي يرد ما ذكر ٠

و تارة يقولون هذا ما عليه الفقهاء و اهل الشريعة و اما نحن فمن اهل الطريقة و الحقيقة ، و هم لا يقفون عند اقوال الفقهاء فنقول : نعوذ بالله من هذة المقالة و

نعتصم به من هذة الضلالة ، فان كل من تصوف و لم يتفقه فقد تزندق ، و من جمع بينهما فقد تحقق ، و ما من واحد من السادة الصوفية الا تعبد علي مذهب امام من مذاهب الائمة المرضية اذ جميع الصوفية مطبقون علي صحة مذاهب الفقهاء و ان القرب الي الله تعالي و الهدي في اتباعهم و انهم علي هدي من ربهم ٠

قال سيدي مصطفي البكري رضي الله تعالي عنه :

و نعتقد مذاهب الائمة *** فيها الهدي و هم هداة الأمة

و الحقيقة لا وجود لها بدون الشريعة ٠ قال القطب الدرديري رحمه الله تعالي : الشريعة هي الاحكام الشرعية ، و الطريقة هي تتبع الاخلاق المحمدية، و الحقيقة هي الشرب من الكؤس الاوحدية ٠

فأفاد رضي الله تعالي عنه ؛ ان الحقيقة هي ثمرة الشريعة و نتيجة الطريقة فليس للحقيقة أهل غير اهل الشريعة٠

و قال سيدي ابراهيم الدسوقي رضي الله عنه : إياكم و الدعاوي التي لا يشهد لها كتاب و لا سنة فإنها سبب طردكم عن حضرة ربكم ٠

و قال ايضا : طريقنا هذا مضبوط بالكتاب و السنة ، فمن احدث فيه ما ليس في الكتاب و السنة فليس هو منا و لا من اخواننا و نحن بريؤن منه في الدنيا و الاخرة ، و لو انتسب الينا بدعواه ٠ انتهي

فما دام الشخص ثابت العقل مختارا فهو مخاطب بالشريعة ، لا تسقط عنه في حال من الاحوال ، فإن ادعي ذلك فهو زنديق ٠

قال الاستاذ البكري رحمه الله تعالي في :(ألفية التصوف)

و من يخالف فعله الشريعة *** فذاك في مهامه القطيعة

اذ كل من خالفها زنديق *** و كل من حالفها صديق

و جاهل يفرق ما بينهما *** و ليس يمكن انفكاك عنهما

شريعة يا ذا بلا حقيقة *** عاطلة اذ لم تكن وثيقة

حقيقة بدونها فباطلة *** فأفهم منحت مزن فيض هاطله

و من غدا مسلوب الاختيار *** فحكمه تسليمه للباري

لا تعترض في فعله عليه *** اذ عقله خذ خبأه لديه
و انما يعترض الباقي علي *** عقل له و شرع طه قد فلا
يقول ذا حقيقة ذريعة *** كي ينبذن جانب الشريعة
فاحذر علي دينك من ذي قوم *** و لا تجالسهم و لا في النوم
و قد نما في ذا الزمان شرهم ***حتي سما في الناس جدا ضرهم
و لم يكن لهم هنا من يردع *** من أجل ذا دين الحنيفي ودعوا

و قال رضي الله تعالي عنه : (في الوصية الجلية)
ان اهل الطريق يجب عليهم ان لا يخطوا خطوة ينكرها الشرع عليهم ، فان كل من خالف الشريعة المحمدية تاه و ضل عن الطريقة المرضية ، فالشريعة أصل و الحقيقة فرعها ، فمن لم يحكم الاصل لا ينتفع بالفرع ٠
و لهذا كان سيد رؤساء هذة الطريقة سليمان الداراني قدس الله تعالي سره يقول :
ما حرموا الوصول الا بتضييعهم الاصول، فشريعة بلا حقيقة عاطلة ، و حقيقة بلا شريعة باطلة ٠ انتهي

و تارة يقولون المدار في الذكر علي قصد الذاكر ، فاذا قصد الذات الاقدس بأي لفظ كان جاز له الذكر به ، حتي ان بعض هؤلاء أفرط في ذلك فأتي بمقالة شنيعة تمجها ارباب الارواح الزكية ، و تشمئز منها اهل السنية فقال :
اذا استلقي الشخص علي ظهره مكررا لفظ أح بفتح الهمزة ، او نبح كالكلب قاصدا به ذات الحق تعالي ، كان ذلك ذكرا ٠ فنقول نعوذ بالله من سوء الادب ، و نتحصن به مما يوجب المقت و الغضب.
أما تعلمون أن الذكر في اصطلاحهم هو تكرار اسم المذكور علي اللسان فأنتم ترون الاسم مأخوذا في مفهوم الذكر ، فلا يتحقق الا به ، و المختار من الاسماء توقيفية يتوقف اطلاقها عليه تعالي علي الكتاب و السنة الصحيحة او الحسنة ، و مقابل المختار ما ذهب اليه المعتزلة و القاضي ابو بكر البقلاني من جواز اطلاق ما كان متصفا بمعناه و لم يوهم نقصا، و فصل الغزالي فجوز اطلاق

الصفة ، و هي ما دل علي معني زائد علي الذات ، و منع اطلاق الاسم ، و هو ما دل علي نفس الذات.
فتلك المقالة لم توافق مذهبا سنيا و لا معتزليا ، فلا حول و لا قوة الا بالله العلي العظيم ، و يرحم الله تعالي سيدي عبد الرحمن الاخضري حيث قال في منظومته فيهم :
و ينبحون النبح كالكلاب*** طريقهم ليست علي الصواب
و ليس فيهم من فتي مطيع*** فلعنة الله علي الجميع
و جواب هؤلاء ان تناديهم بالفاظ الهذيان و الحقارة ، فان استنكفوا من ذلك فقل لهم انتم جوزتم ذكر الذات العلية بذلك ، فهل ذواتكم أعز من ذات الله و أرفع كلا.
و تارة يقولون هذا انتقاد منكم و اعتراض علي الفقرء الذاكرين ، فنقول لهم هؤلاء ليسوا من الذاكرين لما تقدم من أن الذكر هو تكرار اسم المذكور علي اللسان ، هؤلاء قد كرروا لفظا غيره ، اذ الكلمة تغير الاخري بزيادة حرف او نقصه او تغيير حركة، فقولنا هذا نصح لهم و تصحيح لاعمالهم الفاسدة التي لا وجود لها الا في أذهانهم ، اذ المعدوم شرعا كالمعدوم حسا، فهو اخراج لهم من ظلمة الغرور و القطيعة ، الي نور الحقيقة و الشريعة ، فنحن انفع الهيم منكم، فإنا ندعوهم الي متابعة الرسول ، و انتم تدعونهم الي ما كان عليه الاسلاف و الاصول، فلو تركتموهم لا تنفعوا، و لو اعتزلتموهم لارتفعوا، لكنهم لطف الله بنا و بهم استحكم علي قلوبهم دخان الغفلة فاتعذبوا ألاء الغرور ، و نبذوا قنديد النصح خلف الظهور ، فيا هؤلاء كيف تسمون محض النصح انتقادا، و ما خالفه اعتقادا و انقيادا ، و يرحم الله المحقق الامير حيث قال في رسالته في امثالكم :
و الداهية الطامة انهم اذا نهوا قالوا لا تعترض، و هذا ادهي و أمر ، حيث يجعلون تعليم السنة المحمدية اعتراضا ينهي عنه ، و ما خالفها اسلاما و انقيادا و هذا امر يخشي منه الكفر و الردة . الله اعلم ، هذا كلامه رضي الله عنه.

فقد ظهر لك نور الحق الساطع ، و دخان الاباطيل المانع، و لم يبق الا العناد و افساد اعمال العباد، و ياليتني أدري ما الحامل علي هذا العناد، و ما الباعث علي هذا التضاد، و طريق الحق واضح و نوره علي اهله لائح، و اصلاح الذكر

أمر يسير ، و النطق باسماء الله تعالي كما وردت خلق البشير النذير ، و قد دحضت حجتكم و انقطعت محجتكم ، و ليس لكم فيما تدعون مندوحة ، و اعمالكم لدي اهل البصائر منبوذة مطروحة ، و ما هي الا كسراب بقيعة يتلألأ للظمآن فيوقعه في مهامه القطيعة، فكونوا معنا اخوانا في الله ، و اجتمعوا معنا علي سنة رسول الله -صلي الله عليه و سلم - ختم الله لنا و لكم بالحسني و المشي علي الطريق الأسني.

و قد علم مما تقدم من تحريم تقطيع الاسماء الشريفة أن من نذر نفس تلك الهيئة المخترعة المشتملة علي تقطيع اسمائه تعالي لا يلزمه الوفاء به ، بل يحرم عليه لما فيه من التسبب في المعصية بخلاف ما اذا نذر أصل الذكر فإنه يلزمه الوفاء به ، لكن لا تبرأ ذمته الا بالذكر الصحيح الجاري علي قانون الشريعة الغراء أطلع الله شموسها، و ادار علي اهلها كؤسها ، و جذ عنق البدعة و ناصريه، و رفع جيد السنة و صاحبيها بجاه من ارسله الله الينا بتلك الاحكام سيدنا محمد-صلي الله عليه و سلم - .

هذا و بينما أنا اركض جواد الفكر في هذة المناقشات و اصول بسيف الشرع في تلك الضلالات و اذ بالكلمة المشرفة أبدت مقالا ، و علي قلب الملهوف أمطرت زلالا تقول :
قد أنزلني الحق جل جلاله اليكم من اللوح المحفوظ محققة الاركان محكمة البيان ، و اعتني الحق بي و عظمني و بجلني و اكرمني حيث لم يكتف سبحانه و تعالي بان أنزلني مع مطلق ملك من الملائكة الكرام بل مع سيدهم و رئيسهم عليه السلام ، فنزل بي حافظا لأركاني محكما لبنياني معتنيا بشاني محققا للحروف و المباني عليي نقطة خط الله و صفوته و منتقاه سيدنا محمد بن عبد الله ، فتلقاني الحبيب بأحسن القبول مبجلة بين اصحابه الجحاجحة العدول ، و اتباعهم البررة الكرام و من تبعهم بالعمل الصالح و استقام . الي ان نزلت بين سوح و خيمة ، و أقمت بين فئة ذميمة لا يقتدون بالسلف الصالح ، و لا يزجرهم الدليل الواضح ، يتبعون ما تسحسنه العقول و يدعون الشرع المنقول ، فأخلوا بأركاني و قطعوا مني المباني و مزقوني أي تمزيق ، و حملوني من الاحرف

الزائدة ما لا أطيق ، فيا من لكم في الانبياء الوراثة أما لكم في عزيز أهين من اغاثة ، أما يجب تعظيم من عظمه الله ، أما يجب توقير من اعتني بشأنه مولاه.

فلما سمعت بأذن القلب شكواها و ما أبدته من ضرها و بلواها قلت هذة الأبيات

مررت علي الجلالة و هي تبكي *** فقلت علام تنتحب الكريمة
لك القدر المعظم من قديم *** و بين أولي النهي أبدا مقيمة
و شرفتي بمدلول تسامي *** عن الاوهام و السمة الذميمة
و كنتي مجمع الاسرار قدما *** و أنت الآن للصهبا مديمة
فقالت دعن أبك و لا تسلني *** فاني بين ألسنة لئيمة
أباحوا قطع أوصالي و جاؤا *** بما يزري بهيئتي النظيمة
ظلمت و لم أجد عونا و مالي *** مغيث يردع الفئة الوخيمة
بحق الحق لا تهمل عزيزا *** يهان و سرنا للقلب ديمه
يد الاكرام منا قد توالت *** عليك فجد بسطوتك الهميمة
و أنصفنا بفرط العزم و انظر *** لما وافاك من منن جسيمة
كلام الله مضبطنا فخذه *** سلاحا للمقهقهرة الرجيمة
و سيفك سنة المختار فاسطو *** و لا تنظر لشرذمة عديمة

فحدق يا أخي عين التحقيق ، و انج بدينك من هذا الفريق و اعمل بالسنة و الكتاب تكن ممن فاز برفع الحجاب، و زن كل ما تراه من صور الاعمال بمعيار الشريعة المحمدية ، و لا تقف عند بهجته الصورية ، فكم من صورة أبهي من حقيقة ، و كم من غابة أزهي من حديقة ، و لا تسلم قيادك الا لعارف بخفيات الطريقة جامع بين الشريعة و الحقيقة ، فاذا رأيت مدعيا هذا المقام باسطا يده لمبايعة الانام ، فقدم رجلا و اخر اخري ، فقد اخذ الامر في القهقري ، و رجع الحال الي ورا، و كثر المبطلون و قل المحققون و اختفت انوار الاسرار و انعكس علي الكون دخان الاغترار.

و قد قالوا : الخطأ في ألف محق بعدم الاتباع أخف من الخطأ في مبطل واحد بالاتباع، فاذا قدر الله عليك باتباعه ثم وجدت علي خلاف النهج القويم و السنن المستقيم ، فارجع عن اتباعه و دعه في خبطه و ابتداعه ، فليس الخطأ هو عين الخطأ، انما الخطأ هو الاصرار علي الخطا.
و لا يهولنك قولهم ، لا ينبغي للمريد ان يعترض علي استاذه و لو فعل ما ظاهره انه حرام ، و يؤمر بتأويله حسب الطاقة . فأن هذا في حق استاذ استكمل الشروط المعتبرة عندهم و كان محالفا للسنة مخالفا للبدعة ، ديدنه الاخلاق المرضية و طبعه و سليقته الاخلاق المحمدية ، فإذا هفا هفوة فله حال تخلصه و محمل يخصصه و مع تأويلها منه لا يقتدي به فيها.
قال الشيخ الأكبر قدس الله تعالي سره :
لا تقتدي بالذي زالت شريعته *** عنه و لو جاء بالانبا عن الله

و لو تأمل الاشياخ في أمر المريد بتأويل الهفوة الواقعة منهم لقوي تمسكهم بما شرطوه في حقهم ، و عرفوا ان هذا البساط لا يجلس عليه الا نقي من الرعونات النفسية, بريء مما يخالف الطريقة السوية ، و اشتد فزعهم ممن هو أقرب اليهم من حبل الوريد ، و تقطعت أمعاؤهم من الروع الشديد ، و أما الان فقد عكست القضية و اشتدت البلية ، و صار هذا موجبا لعدم المبالاة بالمخالفات و الرتع في مراتع الضلالات ، فأنظر يا اخي بنور الايمان و اعرف الربح من الخسران و سر لمولاك علي تحقيق ، و زحزح عن نفسك دخان التعويق ، و الله يتولي هداك و هو يتولي الصالحين.
اللهم اجعلنا من محبوبيك المقربين و محبيك الصادقين و اجمعنا بأهل وصلك المفلحين و دلنا علي كبار اهل حضرتك العارفين و اجعلنا بعظيم نفحاتهم فائزين ، و من كؤس محبتك علي ايديهم شاربين ، و لجلالك و جمالك في كل شيء شاهدين ، و امتنا علي أكمل درجات اليقين يا رب العالمين و يا ذا الفضل المبين .
و صل و سلم علي سيدنا محمد خاتم الانبياء و سيد المرسلين و علي آله و صحبه أجمعين كلما ذكرك الذاكرون و غفل عن ذكره الغافلون.

تمت هذة النسخة المباركة التي تجل عن المشاركة غاية ذي الحجة الحرام سنة احدي و تسعين بعد المائتين و الالف ، و الحمد لله علي التمام و صلي الله عليه سيدنا محمد و علي آله و صحبه و سلم ، و الله أعلم.

و قد بين المصنف قدس الله تعالي سره كيفية الوصول الي مقامات اهل هذا الشأن بالطريقة الحقة الثابتة بيانا اجماليا مفيدا كل الافادة من غير تطويل فقال :

{ فبدل الاوصاف } الذميمة النفسية الكامنة فيك بأوصاف حميدة طاهرة نقية { كي تسمي } عند الرجال اهل الكمال { البدل } و البدل عند القوم واحد الابدال و هم طائفة معلومة أصحاب وظائف في الكون، و أول هذة الدرجة من بدل الله سيآته حسنات .

قال تلميذ الشاذلي : كنت مع استاذي يوما فدخل جماعة عليه فقال لي هؤلاء من الابدال، فنظرت بقلبي فلم أرهم فيهم فأخبرت الاستاذ فقال لي : أقرأ ان شئت فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ . فعلمت ان البدل من بدل الله سيئاته حسنات.

{ و كن فتي } من الفتوة و هي الصدق في كل ارادة صالحة { بين الرعايا } المراد بها أعضاء جسمه { قد عدل } بأن صرف كل عضو في وظيفته من الطاعة و هذا الحال هو الهمة الصادقة التي هي صرف جميع الحركات فيما يلائم المطلوب.

{ و انقب } اي ابحث { علي الاسرار } بالجد في الطاعات و تصفية النفس من الآفات بالمجاهدات و الرياضات { و المعاني } المستورة عن ذوي الغفلات { تدعي نقيبا } اي مقدما و عريفا علي المريدين { في } طلب { العلا يعاني } اي يتعب و ينصب و يجد و يجتهد ، و الأصل في النقابة القيام بالحفظ و الاحاطة لقوله تعالي : (وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ) و قوله تعالي (خُذُوا حِذْرَكُمْ)، و في الخبر احرص علي ما ينفعك الحديث.

و من المعلوم ان لكل نبي انصارا و لكل جماعة أعيانا و لكل بيت رؤساء و لكل ركب أدلاء ، و لما كانت الأولياء علي سنن الشرع و الخلافة عزيزة و القيام بأمرها

شاق علي المريدين إلا علي اهل الخصوصية ، احتاج الامر الي اقامة اشخاص للتعاطي خدمة الفقراء و نظام شملهم معاونين للشيخ و هم النقباء، و يكفي منهم اربعة انفار و بهم يتم النظام.

فأدناهم منزلة نقيب النعال : و هو اعلاهم معني و اقربهم فتحا و سلوكا اذا قام بأدائها و وفي بحقوقها و آدابها .

ثم نقيب الماء :و هو ساقي الماء له بكل قطرة أجر.

ثم نقيب السماط : له بكل لقمة يأكلها اخوانه أجر.

ثم نقيب الحضرة : و هو نقيب النقباء ، و عين الجماعة و اليه الإشارة ، و هو محل سر الشيخ و بابه ، و له وظيفة الدعاء و تقديم المريد للعهد و الاستئذان و ترتيب المجلس و افتتاحه إذا غاب الشيخ و الوقوف علي رأس الفقراء.

و لكل واحد من الاربعة آداب كثيرة تخصه :

فأما (آداب نقيب النعال) فكثيرة :

منها و هو اجلها الاخلاص في ذلك لله تعالي ، و ان يلزم الخضوع ليستكمل رتبته ، و ينوي بهذة الخدمة الوقاية من المكروهات ، و ان قدم عليه فقير بش في وجهه و يلقاه بالبشر و الترحيب و السعة كقوله مرحبا باخينا فلان ، او سيدي فلان او الشيخ فلان ، شكر الله سعيكم و تقبل منكم و اعانني علي القيام بواجب حقكم ، و يأخذ نعله و ينفضه و يطويه و يضع النعال كل واحد مع رتبته ، و عليه الحفظ و الصون و الوقاية للنعال، و إذا اراد حاجة خلف من يحرس ، و إذا أراد الانصراف و اقبل عليه واحد ، قدم له نعله و دعا له بالقبول و سأله الدعاء ، و ينبغي ان يكون حاذقا فطنا ليميز بين النعال و يعرف صاحب كل نعل ، و إذا اراد الكمال أخذ نحو سكين يحك بها ما عساه أن يكون داخل النعل من وحل و نحو خرقة يمسح بها .

و ينبغي ان يكون له خرج او نحوه اذا كانوا في محل غير الزاوية كزيارة او اجتماع عند احد ، ليحفظ نعالهم فيه ، و عليه حمله علي رقبته ان كان وقت مشي، و يضعه بين يديه حال جلوسه ، و رتبته خلف القوم اذا مشوا و ذلك ليحفظ ما عساه ان يقع منهم من ثوب و نحوه.و من آدابه اكل فضلة القوم.

و أما (آداب ساقي الماء) فكثيرة :

منها تنظيف الكيزان و تطييبها بالروائح الذكية و تنظيف يده و ثيابه ، و لا يمخط بحضورهم و لا يبصق و لا يتخطي رقابهم و لا يمنع الماء من احد جليل او حقير و لو من غير الفقراء، و أول مروره بالماء يبدأ بمن علي يمين الشيخ و يختم بمن علي يساره ، و ينبغي ان يكون عارفا بآداب الشرب ليرشد الشارب.
و من آداب الشرب ان يأخذ الكوز بيمينه و ان يشرب قاعدا ، و ان يتناول الماء بثلاث جرعات يتنفس عقب كل جرعة خارج الاناء ، و يبتديء في اول كل جرعة بالبسملة و يأتي عقبها بالحمد ، و يسن له بعد الشرب أن يقول الحمد لله الذي اطعم و سقي و سوغه و جعل له مخرجا ، فيقول له الساقي هنيئا لك يا أخي جعله الله لك صحة و عافية او نحو ذلك مما فيه تطييب لخاطره و ادخال السرور عليه، و يمر علي الفقراء بالماء في موضعين عقب الأكل و قبل افتتاح المجلس بعد ان تقرأ الفاتحة ، و يستأذن قبل ان يدخل الحلقة تعظيما لهم ، فإذا كانوا حال الأكل وقف علي رؤسهم او قريبا منهم بالماء، و وضعه بينهم و هو أولي فربما يغص احدهم بلقمة ، و اذا كان الذكر قائما و دخل فقير عرض عليه الماء ، و لا يسقي احدا حال الذكر و لا عقبه، و اذا كانوا في زيارة و أرادوا الذهاب الي محل غير محلهم حمل معهم الماء.
و من آدابه التقيد بأباريق الاستنجاء و الوضوء لمن اراد ذلك ، و غسل الايدي قبل -الطعام و بعده ، و غسل ثياب الفقراء و لا ينهر احدا و لا يعبس في وجهه.

و أما (آداب نقيب السماط) فكثيرة :

منها ان يكون فطنا حاذقا نشيطا نظيفا و رعا زاهدا طيب الاخلاق ، طيب الاواني يجيد الطعام و يحسنه بما يليق به ، فإذا ارادوا الاكل قرأ الفاتحة و استأذن و سأل الله تعالي في سره الستر و انزال البركة في الطعام ، و ان يجعله صحة و عافية و قوة علي طاعة الله تعالي ، ثم يفرش السماط قاصدا بذلك تعظيم النعمة و يرص الاواني متوالية علي نمط واحد و هيئة واحدة و لا بأس ان يكون معه معين ،و كونه ساقي الماء اولي لان المرتبة قريبة فيفعل ذلك كله و هو

يقرأ سورة الاخلاص لأنها تطرد الشياطين ، و تحصل البركة في الطعام ان شاء الله تعالي .
و اذا تم وضع المأكول قام علي رؤسهم و ينبغي ان يقرأ سورة قريش في سره مرات قاصدا بذلك اذهاب ضرر المأكول عنهم ، و اذا رأي متأخرا قدمه او محصورا فسح له او فرغ الطعام من ناحية أبدل لهم غيره ان كان هناك غيره.
فإذا تم اكلهم و رفعت الاواني و فيها بعض طعام لعق منه بحضرتهم يريد بذلك التبرك بهم و اظهار الشرف بخدمتهم و جمع ما يفضل لنقيب النعال.
ثم إذا أراد طي السماط قال : أخلف الله علي باذليه و هنأ آكليه و جعل البركة فيه. اللهم يا سابغ النعم و يا دافع النقم يا من يطعم و لا يطعم اجعل طعامنا هذا قوة و بلاغا و صحة و عافية و شفاء و نورا و صفاء و نجنا من تبعته في الدنيا و الآخرة و اجعله من رزقك الذي ترزقه من تشاء بغير حساب يا ارحم الراحمين آمين و الحمد لله رب العالمين .
و من آدابه ان يفضل عنده بقية من الطعام اذا توقع حضور احد ليقدمها اليه في محل وحده ، و ان يأكل معه تطييبا لخاطره ، فان لم يكن عنده الا طعام نفسه خصه به و آثره علي نفسه.
و من آدابه ان لا يأكل الطعام قبل وضعه الا بقصد ذوقه و لا يختص بشيء دونهم و لا يؤثر احدا بشيء ، فإن فعل ذلك فقد خان و استحق العزل ، و اذا اعطاه احد شيئا برسم الطعام من ورائهم فلا يدخره لنفسه، بل اذ لم يحتج هو اليه في الحال للفقراء تركه لهم لوقت الحاجة و عليه السعي لمن لهم عليه عادة يبذلها لهم في كل جمعة او شهر عن طيب نفس، و علامة ذلك انه لو لم يسع أحد منهم اليه لجاء هو بها اليهم ، و لا يخفي عن الشيخ شيئا جاءه بل يأتي به و يضعه بين يديه ، و يقول له يا سيدي هذا من سيدي فلان ، او اخينا فلان فإن أخذه الشيخ فقد خرج من عهدته ، و ان أمره بأخذه و حفظه فعل ذلك ، و ان رسم له بالتصرف فيه لأحد دفعه له ، و ان وضعه بين يديه و اخبره بصاحبه فسكت و لم يرد له جوابا تركه و قام.
و من سوء الأدب أن يظن بشيخه سوء اذا اخذ شيئا و لم يخرجه للفقراء ، فأنه اعرف بالمصلحة منه فقد يمكن ان يكون بذله لمن هو احوج اليه منهم و صاحبه

في الحقيقة انما قصد به سد الحاجة، و لو علم غناهم عنه ما بذله لهم حيث كان من المخلصين في بذله، أما الشخص الذي يبذل شيئا ليوضع بين هؤلاء الجماعة بخصوصهم قصد السمعة ، فمثل هذا لا يقبل منه بحال لانه أعانه علي معصية.
و من آدابه ايضا ان يكون عارفا بآداب الاكل ليرشد غير العارف بها برفق.
و من آدابه اي الأكل الجلوس علي الركبتين او يقيم رجله اليمني ، و أن يصغر اللقمة و يطيل المضغة و لا يبصق و لا يمخط بحال في حال الاكل ، و لا يفعل ما تستقذره النفوس كوضع اللقمة في فيه ثم يخرجها و يضعها في الطعام بعد ذلك و يسمي المهندس ، و لا يرشرش و لا يجنح و لا يضع اللحم علي الخبز و الجبن علي الرغيف و لا يكسر الخبز و لا يسند الأناء برغيف، و يأكل مما يليه و لا يمد يده للطعام قبل الاذن ، و لا يحمل شيئا معه و لا يرمي بالنوي و لا بقشور البطيخ ، بل يجمع ذلك بين يديه ، و اذا عرض له سعال او عطاس حول وجهه و فعل ذلك ، و يأكل بثلاثة اصابع فيما يتأتي له فيه ذلك و يبدأ بالملح ان كان و يختم به ، و يتناول اللحم اولا و لا يقطعه بالسكين الا ان يكون عديم الاسنان ، و لا يرده اذا قدم اليه ، كالوسادة و اللبن و الحلوي و الطيب و لاريحان ، فإنه يسن قبول ذلك كله و لا يمسح يده بالخبز.
و لا ينبغي كثرة الاكل و هو ما فوق الشبع و هو حرام ، و فوق الثلث مكروه ، و يتباعد عن شرب الماء ما أمكن إلا لإساغة لقمة ، و لا يطأطيء علي الأناء حال الأكل. و الحديث بحديث الصالحين حال الأكل مندوب اليه، و لا ينبغي القيم الا لمحتشم.

و أما (نقيب الحضرة) : الذي هو باب الشيخ و يقيم الخلافة فآدابه كثيرة :

منها أن يكون من اهل العلم و ان يكون حليما و رعا زاهدا كاملا علي احسن الهيئات و اجمل الاحوال عارفا بالطريق مستحضرا لآداب المريدين في أنفسهم و آدابهم مع الشيخ ، و آدابهم في مجلس الذكر ، ينزل الناس منازلهم متصدرا لتعلم الادب باللطف محسنا إليهم بشوشا في وجوههم ، صامتا لا يمزح و لا يعبث و لا يكثر النظر و لا الالتفات لغير ضرورة .

و منها أن يقوم بوظائف القيام علي رؤس الفقراء و يفعل ما يراه مصلحة مما جرت به العادة ، و اذا خفي عليه أمر يستشير فيه الشيخ بالادب و الجلوس بين يديه بخفض الصوت و غض البصر ٠

و إذا رأي مريدا يكلم الشيخ في شيء قال له إذا اردت شيئا قل لي ، هذا اذا كان مما يتعلق بأمور العادات و المسائل العلميات ، أو الآداب التي يحتاج اليها الحال ، أما نحو واقعة او رؤيا او وارد ، فلا يقوله المريد الا لشيخه لكن لا في محل اجتماعهم بل في وقت لائق كخلوة الشيخ او انفرادهما ، الا ان يقول له الشيخ هات ما عندك فانه يقول و لو بحضرة الناس، و قد يكون قصد الشيخ بذلك توبيخه او توبيخ غيره او تنشيط بعض الحاضرين او غيره٠

و بالجملة للمشايخ الصديقين مقاصد يدق و يعسر ادراكها علي غير اهل العناية ممن نور الله قلوبهم و طهر اسرارهم نفعنا الله بهم آمين٠

و اذا شاور المريد النقيب المذكور في شيء و رأي المصلحة له او سأله عن مسئلة علمية او في طريق القوم و هو يعرفها ارشده اليها ، و اذا سأله عن شيء لا يعرفه سأل هو الشيخ ،و عليه ان يتلطف بالمنكر ، و يكرم الزائر و يرغبه في الطريق و لا يستحسن علي الشيخ رأيا و لا يدع المريدين يتجاسرون عليه ، و يسألونه لئلا تسقط حرمته عندهم ، لان الطريق مبناها علي الادب و به يحصل الترقي و الانتفاع٠

و من وظائفه المشي بالقنديل امام الشيخ ليلا و يقرب منه بحيث يسمع كلامه و يرد خطابه ، و يحمل معه العصا ، و ينبغي له الاشتغال بقراءة التحاصين النافعة قاصدا تحويط اخوانه ، و يقصد بمشيه امامه ان يفديه بنفسه٠

و من واجبه السعي لجمع الفقراء وقت الحاجة اليهم ٠

و من وظائفه حفظ ما يسقط من ثيابهم حال الذكر و اصلاح المصابيح و اعطاء الطيب و وضع البخور و تفريق ما جاء للفقراء بمعرفة الشيخ ، و حمل السجادة و فرشها و طيها ، و لا يترك احدا يجلس عليها ، فإذا كان آخر الليل أيقظ الفقراء للتهجد بلطف و رفق و يرغبهم في ذلك بنحو قوله سار الركب و انت نائم٠ البطال لا يطمع في منازل الأبطال٠ هذا وقت التجليات فأين الراغبون٠ هذا أوان

المعاملة فأين الباذلون. هيا يا أصحاب الهمم فان قوام الليل فازوا بمطلوبهم . وحصل المجتهدون علي مرغوبهم . التخلف لا ينفع فيه التأسف. مولاك يدعوك الي بابه . سيدك يطلبك للجلوس علي موائد أحبابه . هل تدري ماجري علي القوم يا أسير الغفلة و النوم.

و من وظائفه انه اذا رأي غافلا ذكره أو مسيئا وعظه او جاهلا علمه أو من يضحك نهره أو مسيء الادب زجره، فلا يقر علي منكر و لا يتغفل عن المريدين بل يدقق عليهم و يؤاخذهم بما يغلب علي ظنه و ان لم يتحققه.

و بالجملة فهو الشيخ اذا غاب الشيخ ، و المشار اليه اذا حضر ، و اذا خالفه أحد من المريدين في معروف أعلم الشيخ بحاله بعد وقوع ذلك منه مرات و الله سبحانه و تعالي أعلم.

قال المصنف قدس الله سره { و ترتقي منازل } اي مقامات { الأوتاد } هم جماعة من اهل الله وجودهم علامة علي دوام الدنيا عامرة ، فاشبهوا الاوتاد للفسطاط {اذا سلكت } هذا الطريق يا { صاح في الاوراد } اي بسببها السلوك المطلوب و { اسلك طريق الفنا } و حقيقته ان تفني عن الحظوظ ، فلا يكون لك في شيء حظ بل تفني عن الاشياء كلها شغلا بمن فنيت فيه ، و تكون محفوظا فيما لله عليك مصروفا عن جميع المخالفات.

قال الامام القشيري قدس الله تعال سره : أشار القوم بالفناء الي سقوط الاوصاف المذمومة ، و أشاروا بالبقاء الي قيام الاوصاف المحمودة به ، و اذا كان العبد لا يخلو عن أحد هذين القسمين فمن المعلوم أنه إذا لم يكن أحد القسمين كان القسم الآخر لا محالة، فمن فني عن أوصافه المذمومة ظهرت عليه الصفات المحمودة { و أعلم } أن الذي يتصف به العبد أفعال و أخلاق و أحوال.

فالأفعال : تصرفاته باختياره

و الأخلاق : جبلة فيه و لكن تتغير بمعالجته علي مستمر العادة

و الأحوال : ترد علي العبد علي وجه الأبتداء لكن صفاؤها بعد زكاء الاعمال، فهي كالاخلاق من هذا الوجه ، لان العبد اذا نازل الاخلاق بقبه فنفي بجهده سفاسفها من الله عليه بتحسين اخلاقه ، كذلك اذا واظب علي تزكية أعماله ببذل وسعه من الله عليه بتصفية احواله بل بتوفية أنواره.

فمن ترك مذموم أفعاله بلسان الشريعة يقال انه فني عن شهواته ، فإذا فني عن شهواته سعي بنيته و اخلاصه في عبوديته ٠
و من زهد في دينا ه بقلبه يقال فني عن رغبته فيها و بقي بصدق انابته٠
و من عالج اخلاقه فنفي عن قلبه الحسد و الحقد و البخل و الشح و الغضب و الكبر و أمثال ذلك من رعونات النفس، يقال فني عن سوء الخلق ٠
فإذا فني عن سوء الخلق بقي بالفتوة و الصدق ٠
و من شاهد جريان القدرة في تصاريف الأحكام يقال فني عن حسبان الحدثان من الخلق٠
فإذا فني عن توهم الآثار من الاغيار بقي بصفات الحق سبحانه و تعالي ٠
و من استولي عليه سلطان الحقيقة حتي لم يشهد من الأغيار لا أثرا و لا عينا و لا رسما و لا طللا يقال انه فني عن الخلق و بقي بالحق ٠
ففناء العبد عن افعاله الذميمة و احواله الخسيسة بعدم هذة الافعال و فناؤه عن نفسه و عن الخلق بزوال احساسه بنفسه و بهم فإذا فني عن الافعال و الاخلاق و الاحوال ، فلا يجوز ان يكون ما فني عنه من ذلك موجودا ٠
و إذا قيل فني عن نفسه و عن الخلق فنفسه موجودة و الخلق موجودون، و لكنه لا علم له بهم و لا به و اساس له و لا خبر فتكون نفسه موجودة و الخلق موجودين ، و لكنه غافل عن نفسه و عن الخلق اجمعين غير محس بنفسه و بالخلق٠
و قد تري الرجل يدخل علي ذي سلطان او محتشم فيذهل عن نفسه و عن اهل مجلسه هيبة ، و ربما يذهل عن ذلك المحتشم اذا سئل بعد خروجه من عنده عن اهل مجلسه ، و هيآت ذلك الصدر و هيآت نفسه لا يمكنه الاخبار عن شيء ٠
قال الله تعالي:
[فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ]
لم يجدن عند لقاء يوسف عليه السلام علي الوهلة ألم قطع الايدي، و هن اضعف الناس و قلن ما هذا بشرا و لقد كان بشرا ، و قلن ان هذا الا ملك كريم و لم يكن ملكا ، فهذا تغافل مخلوق عن احواله فما بالك بمن يكاشف الحق سبحانه و تعالي ، فلو تغافل عن احساسه بنفسه و ابناء جنسه فأي اعجوبة فيه ٠

فمن فني بجهله بقي بعلمه ، و من فني عن شهوته بقي بانابته ، و من فني عن رغبته بقي بزهادته ، و من فني عن منيته بقي بارادته ، و كذلك القول في جميع صفاته ، فإذا فني العبد عن صفته بما جري ذكره يرتقي عن ذلك بفنائه عن رؤية فنائه، فلأول فناء عن نفسه و صفاته ببقائه بصفات الحق سبحانه و تعالي ، ثم فناؤه عن صفات الحق شهوده للحق تعالي ، ثم فناؤه عن شهوده فناؤه باستهلاكه في وجود الحق سبحانه و تعالي ، و إنما أمر بسلوكها لأن أول الفناء عمل.

إذا علمت ذلك و جاهدت نفسك حتي أدركت هذة الدرجة

{ تلقي المني } و هو الوصول الي الحق سبحانه و تعالي { و تحتظي بالسر } أي بالكشف عن علومه .

قال الإمام القشيري : و يحتمل انها اي اسر لطيفة مودعة في القالب كالأرواح و أصولهم تقتضي أنها محل المشاهدة ، كما ان الارواح محل للمحبة و القلوب محل للمعارف، و قالوا :

السر مالك عليه اشراف، و سر السر ما لا اطلاع عليه لغير الحق سبحانه و تعالي ، و عند القوم علي موجب مواصفتهم و مقتضي اصولهم أن السر ألطف من الروح ، و الروح أشرف من القلب.

و يقولون الاسرار معتقة عن رق الاغيار من الاطلال و الآثار . و قوله { أيضا } أي كما تلقي المني { و } تحتظي كذلك ب { الهنا } و هو كل نعمة أتتك بلا مشقة { فأنها } أي طريقة الفناء المتقدمة { طريقة الاعيان } أي السادة الأخيار الذين هم أولياء الله تعالي و خاصته من خلقه .

{ نعم } ما قلته من وصف هذة الطريقة حق { و فيها } ايضا { تسم } أي تعل و ترتفع { للعيان } أي المعاينة و الشهود الذي لا شك فيه و لا خفاء { و أجمع } أي حصل مقام الجمع { و فرق } كذلك .

قال الإمام السهروردي : قيل أصل الجمع و التفرقة قوله تعالي :

{شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ} فهذا جمع ، ثم فرق فقال :{وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ } و قوله { آمنا بالله } جمع ثم فرق بقوله {وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا} و الجمع أصل و التفرقة فرع فكل جمع بلا تفرقة زندقة ، و كل تفرقة بلا جمع تعطيل.

و قال الإمام القشيري نقلا عن الدقاق :
الفرق ما نسب إليك و الجمع ما سلب عنك، و معناه أن ما يكون كسبا للعبد من إقامة العبودية، و ما يليق باحوال البشرية فرق ، و ما يكون من فضل الحق سبحانه و تعالي من ابداء معان و اسداء لطف و احسان فهو جمع، فهذا أدني احوالهم في الجمع و الفرق لإنه من شهود الافعال ، فمن أشهده الحق سبحانه تعالي افعاله من طاعاته و مخالفاته فهو عبد بوصف التفرقة، و من اشهده الحق سبحانه و تعالي ما يوليه من افعال نفسه سبحانه فهو عبد بشاهد (كلمة غير واضحة) فاثبات الخلق من باب التفرقة و اثبات الحق سبحانه و تعالي من نعت (كلمة غير واضحة) و لابد للعبد من الجمع و الفرق ، فإن من لا تفرقة له لا عبودية له و من لا جمع له لا معرفة له ، فقوله تعالي :
(اياك نعبد) اشاره الي الفرق ، و قوله (و اياك نستعين) اشارة الي الجمع و اذا خاطب العبد الحق سبحانه و تعالي بلسان نجواه اما سائلا أو داعيا او مثنيا او شاكرا أو متنصلا او مبتهلا " قام في محل التفرقة " ، و إذا أصغي بسره الي ما يناجيه به مولاه ، واستمع بقلبه ما يخاطبه به فيما ناداه او ناجاه او عرفه معناه، او لوح لقلبه و أراه فهو بشاهد الجمع ٠ الي ان قال رضي الله عنه : و جمع الجمع فوق هذا ٠

و يختلف الناس في معني هذة الجملة علي حسب تباين احوالهم و تفاوت درجاتهم ؛ فمن أثبت نفسه و أثبت الخلق و لكنه شاهد الكل قائما بالحق فهذا هو الجمع ؛ و اذا كان مختطفا عن شهود الخلق مصطلما عن نفسه مأخوذا بالكلية عن الاحساس بكل غير بما ظهر و استولي من سلطان الحقيقة فذلك جمع الجمع، و التفرقة شهود الاغيار لله عز و جل ، و الجمع شهود الأغيار بالله تعالي ، و جمع الجمع الاستهلاك بالكلية و فناء الاحساس بما سوي الله عز و جل عند عليات الحقيقة٠

و بعد هذا حالة عزيزة يسميها القوم الفرق الثاني :
و هو ان يرد الي الصحو عند اوقات أداء الفرائض ليجري عليه القيام بالفرائض في اوقاتها ، فيكون رجوعا لله بالله تعالي ، لا للعبد بالعبد، يطالع نفسه في هذة

الحالة في تصريف الحق يشهد مبدأ ذاته و عينه بقدرته و مجري افعاله و احواله عليه بعلمه و مشيئته ٠
و أشار بعضهم بلفظ الجمع و الفرق الي تصريف الحق جميع الخلق ، فجمع الكل في التقليب و التصريف من حيث انه منشيء ذواتهم و مجري صفاتهم، ثم فرقهم في التنويع ، ففريقا اسعدهم و اجتباهم ، و فريقا ابعدهم و اشقاهم ، و فريقا هداهم ، و فريقا أضلهم و أعماهم ، و فريقا حجبهم عنه ، و فريقا جذبهم اليه ، و فريقا آنسهم بوصلته ، و فريقا آيسهم من رحمته ، و فريقا أكرمهم بتوفيقه ، و فريقا اصطلمهم عند رومهم لتحقيقه ،و فريقا أصحاهم ، و فريقا محاهم ، و فريقا قربهم، و فريقا غيبهم ، و فريقا أدناهم و أحضرهم ثم أسقاهم فاسكرهم ، و فريقا اشقاهم و أخرهم ثم أقصاهم و هجرهم ٠
و انواع افعاله سبحانه و تعالي لا يحيط بها حصر و لا يأتي علي تفصيلها شرح و لا ذكر٠

اذا علمت المراد من هذة الحالات و تحققت بتلك الاشارات فانك لاشك { للكمال } الذي هو درجة الواصلين { ترقي } لانه غاية ما ينتهي اليه سلوك السالكين و سير السائرين و فيه تخلص النفس من سجن الطبيعة الي فضاء التخلق باخلاق الله سبحانه و تعالي ، فيه تفاض عليه الاخلاق المحمدية بقدر المقسوم له ، و فيه يتوج بتاج الخلافة العظمي { و بكؤس الوصل } الذي هو تلذذ القلب بشهود الحق بعد كشف الحجب الظلمانية و النورانية ٠
قال شيخي و استاذي و قدوتي و ملاذي سيدي عمر الشبراوي رحمه الله تعالي :
و الوصل عند القوم مكاشفة القلوب و مشاهدة الاسرار بأن يطلع الله سبحانه و تعالي من أراد من أهل العناية علي كونه تعالي معنا في سائر الاحوال الثابت ذلك في نفس الأمر ، و سمي هذا الشهود وصلا لاتصال العارف بشهود ما هو الامر عليه في الواقع ٠
قال الله تعالي : { و هو معكم أينما كنتم } اي علي اي حالة كنتم ، فمعيته لنا متحققة في نفس الامر ، و الذي يحصل لاهل العناية أن يكشف عن بصائرهم حتي يشهدوها ، واذا حصل لهم ذلك لا يزول عنهم لان الله سبحانه و تعالي ما

تجلي لشيء ثم انحجب عنه فضلا منه عز و جل و كرما { منه } سبحانه و تعالي { تسقي } شبه تلك المشاهدات والواردة علي المريد بالكؤس و الورود بالسقي و ساغ له ذلك لكون الكؤس المملوءة تورث بعد شربها أنسا و سرورا ، و لا سرور أعظم من السرور بوصله تعالي .

{ و وحد } أي اعتقد وحدة الله { الواحد } المنفرد في ذاته و صفاته و افعاله فهو واحد في ذاته ، فلا ينقسم و لا يتجزأ ، و في صفاته فلا يشبه شيئا و لا يشبهه شيء، و في افعاله فلا شريك له فيها .
{ فيما } اي جميع ما { وحدا } أي ذاتا و صفات و افعالا .
قال الجنيد : اشرف كلمة في التوحيد ما قاله سيدنا ابو بكر الصديق -رضي الله تعالي عنه - : سبحان من لم يجعل لخلقه سبيلا الي معرفته إلا بالعجز عن معرفته.
قال الاستاذ ابو القاسم الجنيد ؛ ليس يريد الصديق -رضي الله تعالي عنه- انه لا يعرف لان عند المحققين العجز عجز عن الموجود دون المعدوم ، كالمقعد عاجز عن قعوده اذ ليس بكسب له و لا فعل ، و القعود موجود فيه ، كذلك العارف عاجز عن معرفته و المعرفة موجودة فيه لانها ضرورية ، و عند هذة الطائفة المعرفة به سبحانه و تعالي في الانتهاء ضرورية ، فالمعرفة الكسبية في الابتداء و ان كانت معرفة علي التحقيق لم يعدها الصديق رضي الله تعالي عنه شيئا ، بالاضافة الي المعرفة الضرورية كالسراج عند طلوع الشمس و انبساط شعاعها عليه.

و قال بعضهم : التوحيد هو اسقاط الوسائط عند الغلبة ، و الرجوع اليها عند الاحكام، و ان الحسنات لا تغير الاقسام من الشقاوة و السعادة، إنما الشرط ان يكون توحيدك معتقدا فيه أنه تعالي استحق التوحيد { لذاته } من غير موجبات كلها حادثة بعد ثبوت وحدانية ذاته بذاته في قوله :
{ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ }
و اعتقاد العلل لذلك جهل محض ، و متي كان هذا اعتقادك فانه { يحسن منك الاقتدا } بالسلف الصالح في ذلك كالصديق و كل الصحابة ، و الجنيد و كل اكابر الطريق ، او يحتمل المعني من غير غرض بل خالصا كما ايده المنصف

بقوله { فمن يوحد ربه بربه } من غير شهود آثار { يخلص من عقال قرب } اي مشاهدة { قربه } تعالي اليه ، فإن ذلك حجاب .

قال ابو يعقوب السوسي : ما دام العبد بالقرب لم يكن قريبا حتي يغيب عن رؤية القرب بالقرب ، فإذا ذهب عن رؤية القرب بالقرب فذلك قرب.
و هذا اعني رؤية القرب هو المعبر عنه بعقال القرب ، فانه مادام العبد في هذا المقام فهو محجوب عن القرب ، فاذا خلص من ذلك فهو القرب.

قال الامام القشيري : و رؤية القرب حجاب عن القرب، فمن شاهد لنفسه محلا او نفسا فهو ممكور به، و لهذا قالوا أوحشك الله من قربه أي من شهودك لقربه ، فان الاستئناس بقربه من سمات العزة به ، اذ الحق سبحانه و تعالي وراء كل انس و ان مواضع الحقيقة توجب الدهش و المحو.

و رأي ابو الحسين النوري بعض اصحاب ابي حمزة فقال : أنت من أصحاب ابي حمزة الذي يشير الي القرب ؟ إذا لقيته فقل له ان ابا الحسين النوري يقرئك السلام و يقول لك قرب القرب فيما نحن فيه بعد البعد .
فمما تقدم جمعيه علم ان قرب القرب حجاب و عقال يمنع من السير ، و ان التوحيد الخالص موجب للفكاك منه ، فانشط من هذا العقال تكن من الأبطال.

{ و فقر فقر الفقر }
اعلم ان للفقر ثلاث درجات لكل واحدة اهل ، و كل واحدة لب للتي قبلها ، و قد اشار اليها الاشياخ اشارات متفرقة.
الأولي : الفقر بمعني قلة ذات اليد من المال و الجاه مع الرضي بذلك و السكون فيه و عدم السخط ، و هو أدناها و هو فقر العامة.
و الثانية : فقر بمعني تعلق القلب بالدنيا رغبة فيما عند الله تعالي من نعم الجنة.
و الثالثة : فقر بمعني عدم تعلق القلب بشيء من الأكوان بل لوجهه تعالي و قربه و هذة الأشرف لأنها لا تكون إلا بعد الفناء عن الدنيا و الآخرة .

و لذا قال المصنف قدس الله تعالي سره :
{ان تدريه } أي تعلمه حق العلم و تتحقق منه { يمم } اي اقصد { له } أسبابه و طرقه حتي تصل اليه { كي } اي لأجل أن { تدع بالنبيه } اي الفطن الحاذق المتبصر في الامور.

ثم أخذ المصنف في الإشارة الي مقام الإحسان فقال :

{ و اسمع به } اي بالله سبحانه و تعالي { منه } تعالي لا من غيره { و كن } بهذا الحال { ذا} اي صاحب { سمع } حقيقي { و ابصر كذلك } اي به منه { و اجر ماء الدمع } و اذا كان سماعك و ابصارك كذلك ، كان كل مسموع لك و كل مبصر موعظة اذا هو خطاب و رد عليك منه تعالي ، فما أرق قلبك حينئذ و أسجم عينيك .
{ و انطق به } فلا تخرج عن حد ما ناداك به في سرك آمرا بذلك { كي تدع ذا لسان } ناطق بالصدق عذب المقال مسموع الموعظة { ايضا } اي كما دعيت في الاول ذا سمع و في الثاني ذا بصر { و تدخل } بالتسكين { جنة الامان } من الوقوع في الزلات من جهة اللسان و من جهة البصر و من جهة السمع ، أو الامان من القطيعة ، فإنه ما رجع من رجع الا من الطريق و متي وصل فالله اكرم من ان يمل جليسه. و تقدمت الاشارة اليه في ذكر النفوس.

{ و السر صنه } قال الإمام القشيري :
و يطلق لفظ السر علي ما يكون مصونا مكتوما بين العبد و الحق سبحانه في الاحوال، و عليه يحمل قول من قال أسرارنا بكر لم يفتضها وهم واهم ، و يقولون ان صدور الاحرار قبور الاسرار ، و قالوا لو عرف زري سري لطرحته ، فكتمان السر في هذا الطريق واجب .
و إن صنته ايها المريد { تدع بالامين } و الا فلو علمت شفتاك بما في صدرك فقد جردت عن وصف الامانة و وصمت بالخيانة و استحقيت الطرد و الحرمان ، لان من أودعوه سرا فباح به لم يأمنوه عي الاسرار ما عاش ابدا .

و مستخبر عن سر ليلي رددته *** بعمياء من ليلي بغير يقين
يقولون خبرنا فانت أمينها *** و ما أنا ان اخبرتهم بأمين
و فوق تسميتك ايها المريد بالامين أن الله تعالي يمن عليك بما لا يدخل تحت حصر.

{ و ترقي للتلوين في التمكين } التلوين صفة أرباب الاحوال، و التمكين صفة اهل الحقائق.
فالتلوين لارباب القلوب : لأنهم تحت حجب القلوب، و للقلوب تخلص الي الصفات ، و للصفات تعدد تعدد جهاتها ، فظهر لارباب القلوب بحسب تعدد الصفات تلوينات ، و لا تجاوز للقلوب و اربابها عن عالم الصفات .

و أما أرباب التمكين : فخرجوا عن مشائم الاحوال و خرقوا حجب القلوب و باشرت ارواحهم سطوع نور الذات ، فارتفع التلوين لعدم التغير في الذات ، اذ جلت ذاته عن حلول الحوادث و التغيرات ، فلما خلصوا الي مواطن القرب من انصبة تجلي الذات ارتفع عنهم التلوين ، فالتلوين حينئذ يكون في نفوسهم لانها في محل القلوب لموضع طهارتها و قدسها و التلوين الواقع في النفوس لا يخرج صاحبه عن حال التمكين ، لان جريان التلوين في النفس لبقاء رسم الانسانية و ثبوت القدم في التمكين كشف حق الحقيقة ، و ليس المعني بالتمكين ان لا يكون للعبد تغير فإنه بشر ، و انما نعني به ان ما كوشف به من الحقيقة لا يتواري عنه ابدا و لا يتناقص بل يزيد.
و صاحب التلوين قد يتناقص الشيء في حقه عند ظهور صفات نفسه ، و تغيب عنه الحقيقة في بعض الاحوال و يكون ثبوته علي مستقر الايمان و تلوينه في زوائد الاحوال .
قال الإمام القشيري : و الأولي ان يقال ان العبد ما دام في الترقي فصاحب تلوين ، يصح في نعته الزيادة في الاحوال و النقص منها ، فإذا وصل الي الحق بانخناس احكام البشرية مكنه الحق سبحانه بان لا يرده الي معلولات النفس، فهو متمكن في حاله علي حسب محله و استحقاقه ، ثم ما يتحفه به الحق سبحانه في كل نفس ، فلا حد لمقدوراته فهو في الزيادات متلون ، بل ملون و في

اصل حاله متمكن ، فأبدا يتمكن في حالة أعلي مما كان فيها قبلها ، ثم يترقي عنها الي ما فوق ذلك اذ لا غاية لمقدروات الحق سبحانه في كل جنس ٠

فأما المصطلم عن شاهده المستوفي احساسه بالكلية فللبشرية لا محالة حد ، فاذا بطل عن جملته و نفسه و حسه و كذلك عن المكونات بأسرها ثم دامت به هذة الغيبة فهو محو، فلا تمكين له اذا و لا تلوين و لا مقام و لا حال، و مادام بهذا الوصف فلا تشريف و لا تكليف اللهم الا ان يزد بما يجري عليه من غير شيء منه ، فذلك متصرف في ظنون الخلق ، مصرف في التحقيق ٠
قال تعالي :
(وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ)

و هناك مثال يكشف عن ذلك قصة زليخا و النسوة مع يوسف عليه الصلاة و السلام ؛ فإنه بمجرد ان ظهر عليهن تغيرن و غبن عن احساسهن و قطعن ايديهن من غير احساس بألم القطع ، و ذلك لعدم تمكنهن في مشاهدته و رؤيتهن له علي البديهة ، بخلاف زليخا في ذلك اليوم ، فإنها لم تتغير منها شعرة واحدة لانها كانت صاحبة تمكين في حديث يوسف عليه الصلاة و السلام ٠

{ و الشطح دع } لانه رعونة و هو كل كلمة خرجت و عليها شبه رعونة كقول الحلاج أنا الله او ما في الجبة الا الله، و قول غيره أنا العرش انا الكرسي الي آخره٠
{ و الزم } ايها المريد { حمي السكون } اي السكون الذي يحميك من الوقوع في مهامة الشطح و غيره { و اكشف به } اي اطلب الكشف بسببه اي السكون { عن سره } تعالي المقدس { المصون } عن الابتذال بين ايدي الانذال ، و انما كان مصونا لان الله تعالي يغار أن تبدو أسراره المصونة لقلوب بشهود الغير مفتونة٠

ثم ان المصنف تكلم عن اشارة تلوح الي هذا المقام يفهمها اولو الالباب فقال :

{ فالظل ما مد للاستظلال } به من حر الشمس { بل } لحكمة اخري و سر غامض لا يفهمه القاصرون { هو سر } معمول مقدم لجالي و { الانقباض } مضاف اليه { جالي } خبر اي مبين بيانا جليا واضحا ، و ذلك ان الظل ما كان اول النهار ، فكلما انقبض الظل اتسع نور الشمس و هكذا حتي لا يكون ظل . والمريد في مقام القبض خير منه في مقام البسط، فانه و هو في الاول دائما في ترق الي المقامات مأمون من الوقوع في الزلات .

{ و رؤية الابصار } التي ينالها العاملون عي سنن هذا الطريق المؤيد بالقرآن و السنة { فهي أعلا } مقامات الوصول التي ينالها العارف في الدنيا و الآخرة ، وهي الزيادة عن الحسني ، و انما كانت كما ذكر { لانها قد خصصت } في هذة الدار الدنيا { بالاجلا } اي الحسن الوجه و هو المصطفي - صلي الله عليه و سلم - و في الجنة يراه عموم المؤمنين كل علي حسب مقامه في مدة المشاهدة و فيما بين المدتين ، و حيث ان هذة المسئلة اختلف فيها بين اهل السنة و غيرهم و اثبتها اهلي السنة و معهم الصوفية منهم بأدلة قاطعة قاصمة و بعضهم افردها بالتأليف فلا نطيل بذكرها .

{ و وحدة } عظيمة شريفة { من وصفها الاطلاق } عن التقييد بوقت أو زمن أو مكان أو نوع دون نوع حتي عن الاطلاق { ذق سرها } ايها المريد { كي تمس ممن ذاقوا } حقا فان الذوق خاص لا يذوقه الا الخواص من عباده { غنية } تلك الوحدة { حتي عن الاوصاف } و هذا اشارة الي وحدة الاطلاق ، و { لا يدر } و يعلم لاحد { كنهها } اي حقيقتها علي التحقيق ، حتي قال بعضهم :

علامة حقيقة التوحيد نسيان التوحيد { بلا خلاف } بين احد من المسلمين و علماء الدين { و من يكن يدرك } و يحصل { ذا } المقام العظيم الشان الذي ليس له نظير من المقامات التي قبله في السلوك فإنه { سعيد } سعادة عظيمة لا شقاوة بعدها ، يغبطه فيها المحبوبون و المخلصون.

{ نعم } هذا هو الحق الذي لاشك فيه { و انه } فوق ذلك { هو الرشيد } اي المهتدي الي الحق المتشدد فيه.

ثم ان المصنف أتي بما هو كالتفريغ علي مفهوم معني الابيات المتقدمة فقال :

{ فالحمد} الحقيقي المقبول الموصوف صاحبه بالحامد حقيقة { حمد الحمد } اظهار في مقام الاضمار أي ايقاع الحمد من صميم الفؤاد خالصا { ل } وجه الله تعالي { الحميد } أي المحمود المستحق للثناء لاتصافه بالصفات الكمالية التي لا يصح الحمد معها حقيقة لغيره سبحانه و تعالي. و لذا قال - صلي الله عليه و سلم : " لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت علي نفسك ".

{و المجد } أي التعظيم الحقيقي كالحمد { مجد المجد } أي تحصيل المجد { للمجيد } خاصة أي الكريم، اذ هو الكريم علي الاطلاق الذي الذي لا يبخل أبدا و لا يرد سائلا ، فهو المستحق للتمجيد و التعظيم و الثناء لمجده و كرمه و عظمته ، فالحمد و المجد لا يكونان الا له سبحانه و تعالي .
{ علي جميع فضله } راجع الي الحمد { وجوده } أي كرمه راجع الي المجد { ما عابد قام الي } عبادة { معبوده } أي مدة قيام العابدين الي معبودهم ، و المراد ان الانسان يجب عليه ان يكون حامدا و ممجدا لله تعالي وحده سرا و علانية علي جميع نعمائه صغيرة او كبيرة مدة عمره من غير تخلل اعراض حسب امكانه ، و الا فما معني اقراره بعبوديته لله سبحانه و تعالي ، فان لم يكن كذلك فهو عبد آبق يند عن سيده و مولاه و يقبل علي من ليس له عليه فضل ، يعترف للناس بالفضل و يجحد نعم سيده ، فما أشقاه من عبد و أتعس عشيته و أكسد تجارته ، نسأل الله التوفيق للقيام بحقوق عبوديتنا له تعالي .

و الي هنا أنهي المصنف الكلام علي القسم الثالث و هو أدب المريد في نفسه، و لسابق الاقتداء لم نزد علي شرح ما كتب ، و بقي ما وعدنا به من ذكر جملة من آداب المريد مع عامة الخلق و هاك جملة في نهاية الايجاز وفاء بالوعد.